عدسة: مجدى عيد

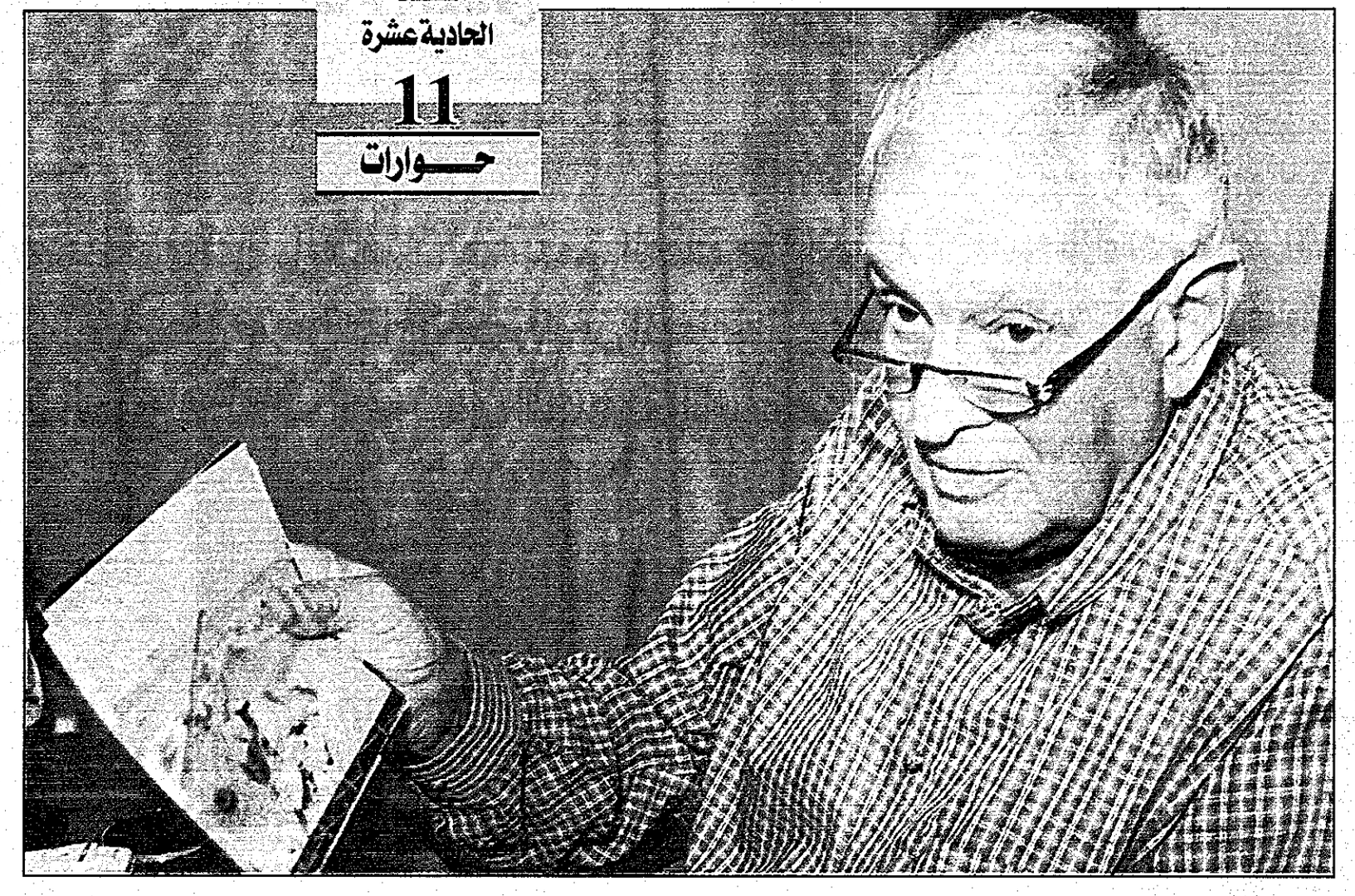

الوزير الأسبق مصطفى الرفاعى يتحدث عن مستقبل «العلاقات المصرية-الامريكية»:

علاقات القاهرة - واشنطن لم تعد محورية ولا استراتيجية

نظام مبارك كان مثاليا لتحقيق أهداف البيت الأبيض

أخيراً كشفت الولايات المتحدة المتحدة واسرائيل عن نواياهما بعد إحباط مخطط تمويل المنظمات الحقوقية الماضية بكل اجتهاد فى تنفيذ مخططات لزعزعة الثقة فى قدرة مصر على النهوض مستعينة فى ذلك بوجوه سياسية جديدة نزلت "بالباراشوت" إلى المعترك السياسى وقامت قنوات فضائية بتلميعها وتسليط الأضواء عليها ، هى تتحدث ليلاً ونهاراً بإدعاء أنهم فرسان الحرية والديمقراطية بينما هم ينفذون سياسات ، ويستخدمون أدوات تزيد اضطراب الشارع المصرى الذى أنخنته الجراح فلم يعد يلوح فى وسط الظلمة فجراً !

المفكر والسياسى الدكتور مصطفى الرفاعى وزير الصناعة الأسبق رصد الحالة المصرية وتابع المخططات الأمريكية والإسرائيلية لإجهاض الثورة . ووضع فى هذا الحوار خريطة طريق للخروج من هذا الليل الطويل ، سلاحنا الأول فيه هو استعادة الوعى بالثوابت الوطنية وإيقاظ مصادر القوة فى الشخصية المصرية لتقوم بدورها ... وإلى الحوار ...

بداية الحوار جاءت من اكثر النقاط سخونة .. فقد ظهر لمصر أعداء وخصوم كثيرون لم نكن نراهم أو نشعر بخطرهم ، وعندما تصورنا أن التخلص من الاستبداد والظلم من خلال ثورة شعبية شريفة وراقية سوف يجمع لنا أنصاراً ومؤيدين إذا بنا نواجه بالوجه القبيح لكثير من الدول ، بل وأدت " حالة الاستباحة " الأمنية لبدء انشطة معادية لمصالح المصريين من دول معادية وصديقة على السواء !!

المخابرات العامة ...

هذا ما دعانا نبدأ بالسؤال الخطير وهو ...

■ **السؤال .. اين جهاز المخابرات العامة المصرية من هذا التعدى الفاضح . وكيف تعامل مع هذه الخروقات رغم انه معروف بقوته ونفوذه المتشعب فى الداخل والخارج . فأين هو وكيف يعود؟..**

- هكذا بدأنا الملف مع الدكتور مصطفى الرفاعى فأمعن فى التفكير ثم قال : جهاز المخابرات العامة المصرية من أقوى أجهزة المخابرات فى الشرق الأوسط ، ومعروف انه كان أقوى فنياً من جهاز أمن الدولة وكانت لديه معلومات عن كل صغيرة وكبيرة ، والمدهش انه لم يقم بما يجب ان يقوم به لحماية الثورة المصرية من المؤامرات العديدة التى حيكت بواسطة قوى أجنبية لإجهاضها ، فالأجانب يتحركون فى مصر بمنتهى الحرية ، وما تم الكشف عنه لا يمثل طبقاً للقاعدة إلا نسبة ضئيلة مما لم يكشف عنه ، ويصبح السؤال هو ما الذى حدث وأفسح الطريق لكل هذه المؤامرات أن تتم وتصل بنا إلى هذه الفوضى ؟ لذلك فإننا فى دهشة شديدة من إخفاق هذا الجهاز ، سواء لأنه يعلم ولم يقم بواجبه أو لأنه لم يعلم أصلاً ! ، وإذا كان هناك عذر فى أزمنة سابقة أن مبارك قام بتحجيمه أو تقليص دوره حتى لا يتعارض مع أجندة مبارك الشخصية فى الاستمرار فى الحكم . فما عذر الجهاز بعد سقوطه ؟! .. لقد كان الجهاز مشغولاً فى قضايا أخرى سواء فى غزة أو السودان ، بينما بلدنا يتم العبث فيها بأيدى قوى معروفة . وكانت إسرائيل والغرب تتعاملان مع السيد عمر سليمان على انه الرجل القوى فى مصر الذى يرأس جهاز المعلومات .

■ **وكيف السبيل لمعالجة الموقف الآن ؟**

- يجب أن يكون رئيس الجهاز عضواً رئيسياً فى المجلس الأعلى للقوات المسلحة ، ولابد أن يقوم بتنشيط كوادره وتحديث أدواته ، وأن يستعيد دوره الذى ينتظر منه خاصة أنه مازال محل احترام وتقدير كبيرين من الشعب . فقد نجح النفوذ الأجنبى لسنوات فى أن يحاصره بدلاً من أن يحاصر هو النفوذ الأجنبى ، وجاء الوقت لكسر هذا الحصار والإعلان عن بعض المواقف الناجزة حتى يستعيد الجهاز كامل الثقة فيه وهذا ممكن جداً وبسرعة .

تقسيم مصر

■ **البعض يرى أن فكرة تقسيم الدولة المصرية إلى أربع دويلات متصارعة فكرة ساذجة وبعيدة عن الواقع وربما تم طرحها من قبيل المبالغة .. ما رايك ؟**

- هذا تسطيح للأمور لأن الهدف الأكبر للدول الاستعمارية الطامعة هو تفكيك الدول الكبرى إلى دويلات متنازعة حتى يسهل تحقيق أهدافهم فيها وهذا عكس ما فعلته أوروبا والولايات المتحدة بنفسها حيث اتحدت دول غرب أوربا فى الإتحاد الأوربى ثم ضموا إليه دول أوربا الشرقية وصارت قوة عالمية ، وهو نفسه ما فعلته امريكا عندما رفض إبراهام لنكولن العظيم انفصال الولايات الجنوبية حين استعصت وجهز الجيوش للحرب الأهلية حفاظاً على وحدة الاتحاد . إذن عمليات التقسيم مخطط إستعمارى ناجح جداً ، وقد نجح عندما تم تفكيك الاتحاد السوفيتى ، ونجح فى تقسيم الخليج العربى إلى دول صغيرة ، وفى تقسيم الشام والسودان وذلك على عكس فكرة القومية العربية أو وحدة العالم الإسلامى ، أما ما يحدث فى مصر من فوضى الآن فهدفه الأكبر إضعاف مصر وتقسيمها وهو مسعى إسرائيلى أمريكى .

■ **وكيف ترى أسلوب التصدى لهذه المحاولات الآن ؟**

- الآن يأتى دور توعية الشعب المصرى بما يحاك حوله من مؤامرات ومخاطبة الوجدان الوطنى لدى كل مصرى بأن يعرف ويؤمن بثوابته الوطنية وتحريره من تأثير الإعلام الهابط الممول من الخارج وتذكيره بشهداء مصر الذين ضحوا بحياتهم من أجل وحدتها على مر التاريخ سواء فى حروب السودان وفلسطين وشهداء الثورات المصرية المتعاقبة ضد الاحتلال . فالتاريخ مستمر وعلينا الانتباه لنجمى أهداف ثورة ٢٥ يناير .

فايزة أبو النجا

■ **هناك حملة شرسة ضد فايزة ابو النجا وزيرة الدولة للتعاون الدولى لأنها كشفت الغطاء عن عمليات التمويل الأجنبى لمنظمات حقوقية تم إنشاؤها فى مصر لتنفيذ أجندات خارجية تحت مظلة دعم الحرية .. فكيف تراها ؟**

- الوزيرة فايزة أبو النجا كانت دائماً فى موقف حساس فقد كان على وزارة التعاون الدولى أن تتوام مع الدول الأجنبية بغرض الحصول على مساعدات ، وقد ادركت الوزيرة فايزة أبو النجا التى تعمل بكفاءة عالية أن الدول الأجنبية قد تجاوزت الخطوط الحمراء ، وان بعض هذه الدول ليس هدفها مساعدة مصر وإنما سقوطها أو الضغط عليها . ولذلك كان عليها أن تأخذ موقفاً حاسماً كمصرية وطنية . وهذا ما فعلته عندما كشفت هذه المؤامرات على غير هوى الولايات المتحدة الأمريكية وهو ما أدى لشن هذا الهجوم .

■ **كيف ترى مستقبل العلاقات مع الولايات المتحدة فى ظل هذه الأزمة ؟**

- اشاد المصريون جميعاً بخطاب باراك اوباما التاريخى بجامعة القاهرة سعدنا باختياره القاهرة وجامعتها لهذا الخطاب الذى حمل الكثير من المعانى والآمال الجميلة ولاقى تأييداً وترحيباً حاراً ، كانت لحظة فارقة أعلن فيها أنه ينتهج سياسات تصحيح ما لحق بالعرب والمسلمين من ظلم وضرر نتيجة سياسات بوش التى أفقدت الولايات المتحدة رصيدها لدى العرب والمسلمين ، وجاهرت إسرائيل بعدم رضاها عن هذا الخطاب وعن اختيار القاهرة لإلقائه.

إلا أن أوباما ما لبث أن تراجع عن هذه الوعود والسياسات ورأينا سياسات الإدارة الأمريكية للحزب الديمقراطى مطابقة تماماً لسياسات الإدارة الجمهورية السابقة . أى أن السياسات الأمريكية ليست سياسات بوش أو أوباما بل هى سياسات إسرائيلية ثابتة لا تتغير بتغير رئيس الولايات المتحدة ، أوباما يسترضى إسرائيل واللوبى اليهودى أملاً فى إعادة انتخابه .

■ **هل تعتقد أن مساندة أمريكا للنظام السابق خدمت المصالح المشتركة للبلدين ؟**

- فلنكن واضحين أن العلاقات المصرية الأمريكية التى سادتها روح المودة والصداقة فى فترة النظام السابق لم تكن صداقة أو علاقة استراتيجية ومحورية كما ادعى جمال مبارك ، بل كانت علاقة نظام تجاوب مع إملاءات الولايات المتحدة أياً كانت فى مقابل دعم أمريكا وإسرائيل لمبارك ولتوريث الحكم لجمال . فمصلحة هاتين الدولتين كانت تقضى باستمرار مبارك ومن بعده جمال .. فهما يقدمان ظروفاً مثالية لتحقيق أهداف البلدين ، وطبيعى أن الأنشطة الخطيرة التى كانت تمارسها السفارة الأمريكية والحفنة التى ارتبطت بها من وزراء ورجال أعمال وأحزاب لم تكن بعيدة عن رصد أعين أجهزة الأمن القومى والمخابرات إلا أن تقارير هذه الأجهزة لم تلق تأييداً من راس الدولة . بل تعرضت هذه الأجهزة نفسها لهجوم شديد من الداخل والخارج ممن يدورون فى فلك السياسة الأمريكية

■ مصطفى الرفاعى أثناء حواره مع «الأخبار»

أجرى الحوار :

عصام حشيش - د.محمود عطية

لدرجة منعته من الكشف مثلاً عن أدوار مزدوجى الجنسية ممن يدعون الآن أنهم الأحرص على مصالح مصر من أهلها الذين يعيشون حياة الكفاح .

■ **ما رايكم فى نهج السفيرتين سكوبى وان باترسون واثره على العلاقات المصرية الأمريكية ؟**

- أعتقد أن السفيرة ان باترسون لا تعرف شعبنا بالقدر الكافى ، شعبنا تظهر عظمته حين تهان كرامته أو تسعى الإمبريالية إلى تحويله إلى أحد توابع الإمبراطورية الأمريكية الجديدة ، وتتجلى حينئذ مشاعر الوطنية الكامنة ويظهر المخزون التاريخى الوطنى بما فيه من بطولات وتضحيات وتختفى ظاهرة العمالة والولاء للأموال الأمريكية . لقد استنفرت السفيرة باترسون هذه المشاعر ، ولا أدرى كيف يمكنها الآن أن تكون مقبولة لنا كسفيرة للولايات المتحدة بعد أن انكشف دورها وتدخلها المندفع فى الشأن الداخلى الذى اصبح مرفوضاً شعبياً وحكومياً .

أقول للسفيرة أن باترسون أن مصر ليست كولومبيا أو السلفادور ، إن ما أتته هذه السفيرة خطأ سياسى ودبلوماسى جسيم ، وزاد من ذلك شحن الإدارة الأمريكية ضد مصر وضد فايزة أبو النجا ، ولا أدرى كيف يمكنها علاج الفجوة التى تسببت فيها ؟

مقتل الجنود ...

■ **ما تقييمك لتوجيهات الرئيس اوباما باستمرار الدعم لمصر رغم التهديدات غير الرسمية بقطعها وأيضاً ما أعلن عنه من إنشاء صندوق مساعدات لإنعاش دول الربيع العربى ؟**

- أوباما يطلق تصريحات دعائية ونحن نعتد فقط بما صرحت به الوزيرة فايزة أبو النجا التى أكدت أن الرئيس السابق جورج بوش خفض المساعدات الاقتصادية لمصر إلى ٢٠٠ مليون دولار فقط ، ورفعها اوباما إلى ٢٥٠ مليون دولار وكان جزءاً كبيراً منها يستقطع لتمويل الجمعيات المدنية التى تعمل فى أنشطة سياسية ، وهذا هو ما ننفق فيه الآن . لأن أهداف الولايات المتحدة من المساعدات تغيرت ولم يعد الهدف منها تحقيق الاستقرار وتأمين احتياجات المجتمع لأن إسرائيل لم تعد تعبأ بالسلام كما قلت بدليل انتخاب الصقور وتطاول المتطرفين أمثال ليبرمان وزير الخارجية وهجومه المستمر على العرب والمسلمين . إلا أن الصمام الحاكم الذى جعل هناك خطأ أحمر لا ترغب إسرائيل فى تجاوزه هو الحفاظ على حسنى مبارك لأنه ينفذ سياساتهم بطريقته الخاصة فى مقابل دعمهم له ولابنه، ولذلك تغاضى مبارك عن قتل كثير من الجنود على الحدود وإغلاق معابر غزة وممارسة إجراءات قمعية ضد الشعب الفلسطينى . وزاد الخضوع عندما توحدت أهداف إسرائيل والولايات المتحدة وأصبحت إسرائيل المسيطرة على إدارة هذه السياسات وهدفها الأول إضعاف مصر من الداخل باستخدام كل السبل والآليات .

رجال أمريكا .

■ **امريكا لها رجال فى مصر . كيف تراهم ؟ وهل هم عملاء أم ناشطون ام منتفعون ؟**

- أمريكا عملت على احتواء عدد كبير من المصريين من خلال انتقاء محدد ومدروس . وبدأت هذا الاتجاه بتقديم منح عمل وتشغيل ودراسات مسحية اجتماعية تبدو بريئة ولكن كانت تتم فى إطار مخطط للتغلغل والتأثير فى حياة المصريين ووجدت تجاوباً وتعاوناً من رأس النظام الذى سمح بها . وكانت الجامعة الأمريكية تقوم بدور مهم فى ذلك بجانب المنظمات الأخرى وأبرزها منظمة ابن خلدون لجمع معلومات يمكن من خلالها رسم سياسات للعمل بها وكانت محصلة عدد كبير من الدراسات أن الشعب المصرى لن يثور أبداً وأنه شعب مشغول بمشاكله وأنه يخشى السلطة وأن نظام مبارك قادر على السيطرة الكاملة عليه !! .

ولذلك كانت ثورة ٢٥ يناير مفاجأة حقيقية أصابتهم بارتباك شديد ، وفى البداية أيدت امريكا الثورة وأرسلت فرانك ويزنر سفيرها السابق لاستطلاع الموقف وقد كان ويزنر نفسه مستشاراً لحسنى مبارك مثلما كان بن اليعازر مستشاراً أيضاً وكان يتقاضى أموالاً من مبارك مقابل تقديم مشورات ، وهذا ما أعلنته سوزان مبارك فى مذكراتها . أما رجال امريكا فى مصر فقد صنعتهم من خلال واجهة ذكية هى " منظمات الأعمال الأمريكية بالقاهرة " فهدفها الأول خلق رجال أعمال ترتبط مصالحهم بالولايات المتحدة يحصلون على توكيلات ويكون لهم أولوية فى الاستفادة من المعونة تحت مظلة دعم دور القطاع الخاص . ومنهم قيادات سابقة وحالية فى اتحاد الصناعات وآخرون فى جمعيات المستثمرين ورجال الأعمال ، ولأنهم مهتمون جدا بالإعلام حرصوا على إصدار جريدة يومية تدافع عن مصالحهم وتعبر عن رأيهم ، وانطلقوا لتعديل نظام المؤسسات المالية وانشأوا عشرات المصارف والبنوك وقدم لهم وزير المالية الهارب يوسف بطرس غالى خدمات هائلة ، وأصبح فى مصر أوعية تمتص مدخرات المصريين وتقوم بتشغيلها لحسابها فى الداخل والخارج دون أى التزام عليها بخطط التنمية المصرية .. فضلاً عن الإفراط فى الاستيراد دون عوائق وساهم رشيد محمد رشيد فى الدفع بخفض الجمارك وتبنى سياسات العولمة الغربية مما جعله من الشخصيات التى لاقت دعماً من قيادات الدول الأجنبية وهو ما أعلنه الرئيس الأمريكى جورج بوش فى إحدى تصريحاته بأن رشيد محمد رشيد ويوسف بطرس غالى من أفضل القيادات الواعدة فى الحكومة المصرية ، كما ساهم الغرب فى صناعة نجومية رشيد حتى كان من أبرز المرشحين لرئاسة الوزراء .

■ **ولكن قيام ثورة ٢٥ يناير اوقف فاعلية معظم هذه الشخصيات التى أصبح ينظر إليهم على أنهم فلول للحزب الوطنى وغير مرغوب فيهم !!**

نعم وكثيرون منهم أيضاً هربوا خارج البلاد ولم يمنعهم أحد رغم أن الثورة كانت قد قامت ، واعطى لهم الإذن بالخروج بسهولة ، وعندما خلا الملعب كان لا بد من نزول لاعبين جدد جاهزين فوراً لقيادة المشهد السياسى

درس حماس

■ **هل ترى ان السياسة الأمريكية سوف تتغير بعد صعود التيار الإسلامى واختيار الشعب له ؟**

- التيار الإسلامى كان هو الفزاعة التى استخدمها نظام مبارك للحصول على الدعم الأمريكى لأنه يعلم أن امريكا لا تريد ولن تقبل بأن يحكم التيار الإسلامى مصر مهما كانت الظروف ، ولكن أمريكا لن تجاهر بالرفض هذه المرة مثلما فعلت عند فوز حماس فى غزة ، ولكنهم سيحفرون لهم ويتصيدون أخطاءهم ويعظمونها بالتعاون والتنسيق مع خصوم التيار الدينى فى الداخل ومن وراء الستار ستشجع أمريكا وتدعم كل الخطط والمؤامرات للقضاء على التيار الدينى والانقضاض عليه فى أول فرصة .

■ **هل تعتقد بوجود ادوار لمخابرات دول بذاتها فى الشارع المصرى الآن؟ - هذا أمر مؤكد . والدول المعادية لنا تتبادل المعلومات والأدوار وتقوم بالتنسيق فيما بينها لاستثمار هذه الحالة وبث المزيد من الحركات والمؤامرات واخص فى هذا الأمر المخابرات الأمريكية والإسرائيلية والبريطانية والمتعاونين معهم من رجالهم فى مصر .**

والدول العربية ؟

- هناك دول عربية كشفت عن مواقف سلبية من الثورة المصرية ، وهى تعتقد أن الثورة قد تكون مصدر خطر عليهم وبالتالى هم ليسوا سعداء بسقوط حسنى مبارك وتتمنى أن يكون لذيول النظام دور مؤثر فى الحياة السياسية ، ولذلك تشجع هذه الدول استمرار حالة الفوضى بل وتمول بعضها المنظمات المدنية بأموال ضخمة لتنفيذ أجندات تحت رايات مختلفة ، وللأسف استمر جهاز الأمن القومى بغض الطرف عنها قبل ٢٥ يناير وبعدها . وانظر مثلاً كيف تدخلت الولايات المتحدة تدخلاً فظاً فى قضية سعد الدين إبراهيم مؤسس مركز ابن خلدون وهو صناعة أمريكية لخدمة صانعيه ، وغيره الكثير من المراكز التى تم حالياً تقديم المسئولين عن عدد منها لمحكمة الجنايات الآن بتهمة الإضرار بالمصالح المصرية ، وهو أول موقف رسمى علنى يكشف المخططات الأجنبية مما أثار غضب الولايات المتحدة ودفعها لشن هجوم على مصر وعلى فايزة أبو النجا والتهديد بقطع المعونة .